محاضرات المحور الثاني : المدارس الفكرية والرواد المؤسسون لعلوم الإعلام والإتصال

المحاضرة (04): المدارس الفكرية المؤسسة لدراسات الإعلام والاتصال

تمهيد :

تأسست علوم الإعلام والإتصال كمجال علمي وفرع معرفي ، داخل المجالات العلمية والفروع المعرفية الأخرى ، خاصة علم الإجتماع ، علم النفس ، العلوم السياسية ، والأنثربولوجيا وغيرها من العلوم .

وبالتالي لم تتأسس مدارس كبرى متخصصة في علوم الإعلام والإتصال ، قائمة بذاتها وإنما امتدت من المدارس الكبرى التي انبثقت منها العلوم ، التي ساهمت في وضع اللبنات الأولى لتأسيس علوم الإعلام والإتصال.

ومن بين أهم هذه المدارس ، المدرسة السلوكية في علم النفس ، مدرسة كولومبيا ، مدرسة شيكاغو في السوسيولوجيا ، المدرسة الإمبريقية/الوضعية التجريبية، المدرسة النقدية فرنكفورت ، المدرسة النقدية الدراسات الثقافية برمنغهام....إلخ.

تثري حقل البحث العلمي في علوم الإعلام والإتصال ، وستساهم كلها تباعا في تطوير المعرفة الإعلامية والإتصالية ، كما سنستعرض لها لاحقا بالتفصيل.

وهناك من يبرز تصنيفات المدارس الفلسفية الكبرى كما يلي : المثالية ، الوضعية ، الواقعية ، العقلية ، التأويلية

1-المدرسة السلوكية في الإعلام والإتصال:

يمكن إدراج تحتها مدرسة كولومبيا في بحوث التأثير في الأربعينات والخمسينات. من أبرز منتسبيها ، بول لازرسفيلد ، إليو كاتز. وهربرت بلومر . كما يمكن القول أن هارولد لاسويل ، أيضا ينتسب لهذه المدرسة.

بالعودة للمدرسة السلوكية ، هي مدرسة في علم النفس ، تتمحور فكرتها المركزية على أن السلوك البشري هو استجابة لمثيرات أو محفزات خارجية في بيئة الحياة . حيث تدرس السلوكات الظاهرة أي القابلة للملاحظة والقياس . وتهمل العمليات العقلية ، كالتفكير والتأمل والخيال والإدراك والأهواء والمشاعر ..إلخ. لأنها غير قابلة للملاحظة المباشرة وغير قابلة للقياس الكمي .

1-سياق الظهور أفكار المدرسة السلوكية:

ظهرت وانتشرت أفكار المدرسة السلوكية ، مع بدايات ظهور وتطور وسائل الإعلام والإتصال الجماهيرية والحالة الإنبهارية بها ، وتزامن ذلك مع الحرب العالمية الأولى ، والحالة الدعائية وأجواء الحرب النفسية السائدة فيها ، إضافة إلى حالة الهشاشة الثقافية والمعرفية ، لدى الأفراد بسبب تفشي النخبوية العلمية مقابل الجهل والأمية لدى عامة الناس. كلها عوامل ساهمت في إعطاء الشرعية العلمية لأفكار المدرسة السلوكية ، التي أجرت أولى تجاربها على الحيوانات قبل محاولة تعميمها على الإنسان والجماعات البشرية.

2-الرواد المؤسسون: جون واطسون 1878-1958 ، إيفان بافلوف 1849-1936، فريديريك سكينر 1904-1990.

3-الرواد المؤسسون في علوم الإعلام والاتصال:

هارولد لاسويل 1902-1978 : الذي اشتهر بنموذجه الخماسي لإستفهامي من ؟ يقول ؟ ماذا ؟ لمن؟ بآي وسيلة؟ وبأي تأثير ؟ وطور نموذج الثأثير القوي ، المتمثل في الطلقة السحرية أو الحقنة تحت الجلد.

ارتبطت بحوثه بدراسة الدعاية السياسية ، ووسائل الإعلام خلال الحرب .

-بول لازرسفيلد 1901-1976 : ساهم في ظهور نظريات التأثير المحدود كتحول عن المدرسة السلوكية المفرطة ، ومن الرواد ، حيث وفي دراساته للإنتخابات الرئاسية الأمريكية ، توصل الى التاثير عبر مرحلتين تو ستيب أوف فلو كومينيكايشن ، في كتابه اختيار الشعب . وهو رد على السلوكية الكلاسيكية ، حيث توصل إلى أن الإعلام لا ينتقل مباشرة للجمهور السلبي ، بل يمر عبر قادة الرأي ، الذين ينقلون ذلك للأوساط التي يعيشون فيها مع الشرح والتفسير فالتأثير.

وستساهم جهود لازرسفيلد في تطوير المعرفة العلمية في علوم الإعلام والاتصال ، وتحقيق النقلة النوعية بتجاوز نمط التاثير المباشر للمدرسة السلوكية، ببساطته واختزاليته ، للمرور والتحول نحو نظريات أكثر عمقا وعقيدا وإلماما بالظاهرة الإعلامية والاتصالية ، لتشمل الجمهور النشط ، ومعطيات البيئة الاجتماعية ، وكذا مختلف العمليات العقلية.

4-أهم أسس المدرسة السلوكية:

تأسست أفكارها على نظرية الإنعكاس الشرطي لبافلوف ، ربط مثير محايد بمثير طبيعي تحدث الاستجابة أي هناك علاقة سببية بين المثيرات والاستجابات. مثل الإشهار عن السلع والخدمات مثيرات تحدث استجابات الشراء.

-السلوك يحدث كاستجابة لمثير خارجي ، وهو ظاهر قابل للملاحظة ، قابل للتجريب والقياس ، يتكرر في نفس الظروف.

-الإنعكاسية الشرطية : المثير-الإستجابة

-نظرية الاشتراط الإجرائي: لصاحبها سكينر وهو المؤسس الفعلي للمدرسة السلوكية ، مفادها أن تعلم السلوكات المختلفة تخضع لعواقبها ، سواء بالتحفيز أو العقاب. فالتعزيز الايجابي يكون بتشجيع الأفراد أو الجمهور على سلوك معين ، النجاح بالالتزام أو العقاب الإقصاء.

-نظرية الرصاصة السحرية أو الحقنة تحت الجلد: لصاحبها هارولد لاسويل ، كأبرز مؤسسي علوم الإعلام والاتصال حيث تعتبر جهوده ونموذجه في التأثير القوي ، الأكثر ارتباطا بالمدرسة السلوكية.

فالرسالة الإعلامية مثير تحدث استجابة مباشرة وفورية ومتطابقة في جمهور سلبي ، متجانس، غير عقلاني . ويمكن الإستشهاد هنا بفيلم حرب العوالم 1938 ، الذي أحدث هلعا كبيرا وهيستيريا لدى الجمهور ، بسبب تلقيهم السلبي لرسائل مفادها حدوث غزو فضائي للأرض ، دون وعي نقدي لدى الجمهور.

5-أهم أفكار المدرسة السلوكية وإسهاماتها في علوم الإعلام والإتصال:

-الجمهور سلبي غير نشط ، يتاثر بالمحتويات الإعلامية والاتصالية دون تفكير ولا نقد ولا مقاومة

-التاثير المباشر الفوري والقوي: يمكن قياس هذا التاثير بملاحظة الإستجابات و التغير في السلوك.. ممارسة العنف بالتعرض لمضامين عنيفة ، الشراء بالتعرض للإشهارات ...إلخ.

-التكرار لترسيخ سلوكات معينة...

-البساطة والإختزالية : الظاهرة الاعلامية والاتصالية معقدة وشائكة ولا يمكن تفسيرها بعلاقات سببية بسيطة

-المقاربة الكمية والتركيز على القياس: عدد المبيعات ، عدد المشاهدات... عدد الإعجابات....إلخ.

6-جوانب القصورفي طرح المدرسة السلوكية في الإعلام والإتصال :

تعرضت المدرسة السلوكية لانتقادات كثيرة شخصت مجموعة من جوانب النقص في طرحها

-التبسيط والاختزالية المفرطة للواقع: سواء للنفس البشرية رغم تعقيداتها وتداخل وتكامل الجوانب الحسية والمعنوية والجسدية والروحية والعقلية كالتأمل والإدراك... إضافة إلى الإختزالية المفرطة للسلوك الإعلامي والاتصالي ، وسوء تقدير تشعب وتعقيدات الظاهرة الإتصالية.

-النمطية والتجانس : افتراض تجانس الجمهور وتصويره ككتلة واحدة ، وإهمال الافروقات والقدرات الفردية والخلفيات الثقافية والمعرفة المختلفة ، وتجاهل الاهتمامات والقدرات المتباينة في تلقي وفهم الرسائل الاعلامية.

-افتراض سلبية الجمهور وتصويره كقطيع مفعول فيه ، يتلقى سلبيا وتفعل فيه وسائل الاعلام ما تشاء

-صعوبة إثبات السببية المباشرة : أو ارتباط السلوك أو استجابة معينة بمثير معين ، سلوك القراءة بالعائلة المتعلمة

-إهمال السياق: تمارس الابيئة والعائلة ومؤسسات التنشئة المختلفة والخلفيات الدينية والثقافية دورا كبيرا في إضفاء الفهم على الرسائل الإعلامية.

كخلاصة مهما تعددت نقائص وجوانب القصور في المدرسة السلوكية ، فإنها ساهمت في وضع اللبنات الأولى لتأسيس البحوث والدراسات الإعلامية في مرحلتها الأولى وفي تطوير بحوث التاثير الإعلامي، ونقلتها من طابعها الفلسفي التأملي التجريدي إلى واقعها العملي الحسي والتجريبي. ولا تزال رغم ضمورها حية في بحوث ودراسات الإشهار والدعاية السياسية والحربية ، كما شكلت الارضية المعرفية لبناء نظريات علمية أكثر عمقا في فهم الظاهرة اللإعلامية والاتصالية بتعقيداتها.

2-المدرسة الإمبريقية في علوم الإعلام والإتصال / الوضعية التجريبية:

1-المدرسة الإمبريقية وسياق ظهورها:

تعني الإمبريقية تيار فلسفي يرى أن المعرفة العلمية مصدرها الحواس والتجارب الحسية ، وليس من التأمل النظري الفلسفي كالحدس . ما يعني تطويع هذا المنهج في العلوم الإنسانية والإجتماعية عامة وعلوم الإعلام والاتصال خاصة لتعبر الإمبريقية عن تيار معرفي يرى أن المعرفة العلمية تحصل عبر إجراءات منهجية صارمة كالملاحظة المنظمة والتجريب والقياس الكمي. للظواهر الانسانية بغية الوصول لحقائق موضوعية قابلة للقياس والتعميم.

ولقد تميز سياق ظهور المدرسة الإمبريقية ، والتي تسمى بالوضعية التجريبية والحسية ، من الناحية المعرفية بالانتقادات الموجهة للمدرسة السلوكية ، وتعدد جوانب القصور في طرحها المعرفي .

ومع التقدم الذي شهدته وسائل الإعلام ، وما رافقه من ارتفاع مستويات التعليم والوعي الفردي والجماعي والحركية التي خلفتها الثورات الصناعية المتعاقبة.

إضافة إلى تطور البحوث والدراسات في الحقول العلمية الأخرى ، وانعكاسها على حقل علوم الإعلام والاتصال ، بعد الحرب العالمية الثانية ، ومحاولة فهم السلوكات الفردية والجماعية لما بعد الحرب ، خاصة تأثير الدعاية الحربية والتجارية ، بفعلحركية التصنيع وتغير الأنماط الإستهلاكية ... إضافة إلى مستويات التطور والدقة العلمية وما رافقها من تطورات تقنية وصناعية ، جعل الباحثون يحاولون التأسي بالعلوم الطبيعية والتجريبية لتحقيق التقدم في العلوم الإنسانية.

2-الأسس المعرفية للمدرسة الإمبريقية:

-الموضوعية: فصل الذات العارفة عن موضوع المعرفة ، والحياد العلمي بحيث لا تؤثر فيه انتماءاته ومعتقداته

-الكمية : القابلية للقياس الكمي ، وتحويل الآراء والافكار والاتجاهات لمعطيات إحصائية ورسوم وأشكال ونماذج

-التكرارية والقابلية للتعميم: نفس الاسباب والعوامل تؤدي لنفس النتائج

-الشمولية : الاعتماد على عينات تمثيلية لتعميم النتائج لتشمل كل المجتمع المدروس

-السببية : بين المتغيرات السبب والنتيجة

الدقة العلمية: تاسيا بالعلوم الدقيقة التجريبية

التنبؤية : من خلال الوصف والتفسير للعلاقات السببية بين المتغيرات يمكن تفسير الظاهرة والتنبؤ بمألاتها

3-الرواد المؤسسون للمدرسة الإمبريقية:

يعتبر أوجست كونت مؤسس المدرسة الوضعية ، وانتسب إليها الكثير من رواد المعرفة الوضعية بنزعيتها التجريبية والحسية . على غرار جون لوك ، دايفيد هيوم ، جون استيوارث ميل ، ديفيد باركلي. ورواد علم النفس التجريبي ، ورواد السوسيولوجيا الوضعية ، هربرت سبنسر ، كإيميل دوركايم . تلكوت بارسونز روبرت ميرتون.

طور تالكوت بارسونز في منتصف القرن العشرين الوظيفية البنيوية ، أو ما يسمى النظرية الوظيفية الكبرى والشاملة ، كاطار نظري واحد يفسر كل جوانب النظام الاجتماعي.

رأى بارسونز أن أي نظام إجتماعي ، لكي يستمر يجب أن يحقق أربع وظائف: التكيف، بلورة الأهداف التكامل بين الأجزاء ، الحفاظ على القيم الأساسية أو النمط.

3-رواد الدراسات الأمبريقية في علوم الإعلام والاتصال :

يعتبر الباحثون الأكاديميون ، بول لازرسفيلد ، كارل هوفلند ، هارولد لاسويل، وبرنارد بيرلسون وهو من أبرز رواد تحليل المضمون الإعلامي . إضافة إلى روبرت مرتون ، جوزيف كلابر من أبرز الرواد القدماء أو المؤسسون للدراسات الإمبريقية في علوم الإعلام والإتصال ، خلال الأربعينات والخمسينات القرن الماضي . وبعدها جاء أفريت روجرز ، مانويل كاستلز ، من أبرز الرواد المعاصرون في الدراسات الأمبريقية في علوم الإعلام والإتصال ، رغم إنتمائهم لحقول علمية أخرى ، كعلم النفس ، علم الإجتماع ، العلوم السياسية...إلخ.

ترتبط المدرسة الإمبريقية في علوم الإعلام والاتصال ، بالتطور الذي أحرزته في الولايات المتحدة الأمريكية . وتعتبر دراسات **بول لازرسفيلد** ، تأسيسية للبحوث والدراسات الأمبريقية في هذا الحقل العلمي الجديد. وتعتبر دراسته الشهيرة إختيار الشعب 1940 ، لبنة أساسية في تطوير المعرفة العلمية الإعلامية ، وإنتاج نظرية تدفق الاتصال عبر مرحلتين.

كما يعتبر كارل هوفلند ، رائد البحوث الامبريقية بتطبيقة المنهج التجريبي بصرامة ، حيث قام بمجموعة من التجارب الميدانية، خلال الحرب العالمية الثانية لدراسة تاثير الافلام التدريبية على معنويات الجنود. حيث درس التغيير الاتصالي من خلال البحث في مصداقية المصدر ، خصائص الجمهور ، شكل الرسالة أحادية أوثنائية الاتجاه... إلخ.

ورغم ارتباط **لاسويل** بالسلوكية الكلاسيكية المبكرة ، إلا أن نموذج الخماسي شكل أرضية تنظيمية للبحوث الأمبريقية

وتعتبر إسهامات كل من إليو كاتز و جوزيف كلابر ، مهمة جدا في تطوير الدراسات الأمبريقية في حقل علوم الإعلام والاتصال. حيث لخص كلابر 1960 ، عدد معتبر من البحوث والدراسات الامبريقية ، ليصل لنتيجة أن تأثير الإعلام محدود ويشتغل لتعزيز عوامل موجودة . ويساهم في ظهور نظريات التأثير المحدود .

وتعتبر جهود إليو كاتز مرجعية ، حيث طور مع بول لازرسفيلد ، نظرية الإستخدامات والإشباعات.

4-مجالات البحوث والدراسات الإمبريقية في علوم الإعلام والاتصال:

برزت البحوث والدراسات الامبريقية في مجالات مختلفة منها ، دراسات الجمهور ، وقياس الجمهور وسبر الآراء ، تحليل المضمون الكمي ، كتصنيف أشكال ظهور المرأة في الإشهارات ، أو تكرار مشاهد العنف..إلخ.

الدراسات التجريبية الميدانية ، الدراسات المسحية المختلفة ، سواء ما تعلق ببحوث التأثير ، أو مسوح المضامين الصحفية والإعلامية المختلفة.

5-الإنتقادات الموجهة للمدرسة الأمبريقية في علوم الإعلام والاتصال :

رغم مساهمتها الكبيرة في تطوير بحوث الإعلام والاتصال ، ونقلها من التجريدية إلى التجريبية ، وما يطبها من دقة علمية وموضوعية نسبية ، علاوة على والقدرة على التعميم وتقديمها خدمة لصناع القرار والسياسات. إلا أنها تعرضت لانتقادات كبيرة نوجزها فيما يلي:

-السطحية والإختزالية: إهمال تعقيدات الظاهرة الاعلامية والاتصالية ، واختزالها في أرقام وإحصائيات

-سهولة التعميم: التساهل في التعميم ، وإغفال تباين الظروف والسياقات

-إهمال السياق : خاصة الاتصالي والمعاني التي يضفيها على الظواهر وفهم الظواهر

-الطابع الكمي يخفي الطابع الكيفي ، فاذا نجحت في الاجابة عن كم تحدث الظاهرة؟ فإنها تفشل في الاجابة عن لماذا تحدث؟

-إمكانية اصطناع السلوك في المختبرات والتجارب المعملية ، ولا يصرح الأفراد محل التجارب بحقيقة سلوكهم

-إهمال السلطة والأيديولوجيات المهيمنة الدينية والسياسية وتاثيراتها المتعددة على التفكير والسلوك.

التركيز على التأثيرات قصيرة المدى والقابلة للقياس

الخلاصة:

يمكن القول هنا ، أن المدرسة الإمبريقية أحدثت تحولات ثورية في علوم الإعلام والاتصال ، وظلت تسيطر على العقل العلمي كمصدر اساسي للمعرفة العلمية خاصة في البيئات الصناعية والتجارية ، أو في المجتمعات الانتقالية كالدول العربية على غرار الجزائر. حيث قدمت أدوات منهجية دقيقة ونظريات صارمة لفهم أشكال التعرض للإعلام والمعالجات الإعلامية لمختلف القضايا ، ولايزال حضورها قويا رغم محاولات التحول المحتشم للاهتمام بالدراسات الكيفية والمدارس الاخرى التي تهتم بالسلطة والهيمنة

كالمدارس النقدية، أو المدارس التي تهتم بالمعنى وإنتاج المعنى وتداولياته ، كالمدرسة التأويلية ومدرسة الدراسات الثقافية.

مما يفرض على العقل الأكاديمي أن الفهم الأعمق للظواهر الاعلامية والاتصالية يستدعي التكامل بين المعرفة العلمية الامبريقية الكمية والمعرفة العلمية التأويلية الكيفية.

فالبحث الاعلامي والاتصالي اليوم ينزع نحو المناهج المختلطة ، انطلاقا من المسح الكمي ، مرورا بالمقابلات المعمقة والجماعات المركزة لفهم المعنى الجماعي ، وصولا للتحليل النقدي لوضع النتائج في العام الثقافي الاجتماعي والسياسي. وهذا ما يسمح بفهم أعمق وصورة أكثر دقة في فهم الإعلام والاتصال والمجتمع.

مدرسة شيكاغو : بدايات القرن العشرين: ركزت على ابراز العلاقة بين الاعلام والديموقراطية ودور الصحافة في بناء المجتمع . من أبرز منظريها جون ديوي ، روبرت بارك... وتعتبر الأرضية التي تأسست عليها نظرية الفعل التواصلي فيما بعد ليورغن هابرماس.

4-المدرسة النقدية في علوم الإعلام والإتصال:

تعتبر المدرسة النقدية فرنكفورت ، من المدارس التي أسهمت في إنتاج أنساق معرفية ، أحدثت تحولات كبيرة في الفهم العميق للظواهر الإعلامية والإتصالية . وأنتج رواد المدرسة النقدية ، أطر نظرية ظلت تلهم الكثير من الباحثين الأكاديميين في علوم الإعلام والإتصال. على غرار نظرية الثقافة الجماهيرية ، نظرية العقل الأداتي ، نظرية العقل التواصلي ، نظرية الفضاء العمومي.

ومن أبرز رواد المدرسة النقدية ، الذين ناقشوا القضايا والمسائل المرتبطة بوسائل الإعلام والإتصال وأنتجو مفاهيم مرجعية كإطار تحليلي لها ، على غرار الصناعات الثقافية ، سيما الثقافة الجماهيرية الهيمنة الثقافية ... إلخ. تيودور أدرنو ، ماكس هوركايمر ، هربرت ماركيز، ألكسيس هونيث ، إضافة إلى يورغن هابرماس.

5-المدرسة النسقية وإسهاماتها في علوم الإعلام والاتصال:

وتعرف بتسميات متباينة ، منها النظرية النسقية ، أو نظرية النظم العامة ، أسسها لودفينغ فون بارتالونفي 1901-1972.

تتمحور فكرتها الأساسية هي محاولة ايجاد اطار نظري موحد يفسر الظواهر في مختلف التخصصات البيولوجيا الفيزياء علم الاجتماع علوم الاعلام.

فكرة النسق تعني مجموعة من العناصر المترابطة والمتفاعلة ، التي تشكل كلا موحدا.. لا يمكن فهمه بدراسة اجزائه منفصلة ، بل بدراسة التفاعلات التي تحدث بين اجزائه وعلاقة النسق ككل بالمحيط.

1-المفاهيم الأساسية للنظرية النسقية:

الكلية والترابط : النسق يشتغل كنظام كلي بتفاعل جميع عناصره، لا يحتكم لمنطق السببية .

-الحدود لكل نسق حدود تفصله عن الانساق الأخرى قد تكون مادية المبنى أو وظيفية السياسة التحريرية.

-النظام والإنضباط الذاتي:

التفاعل مع البيئة: الاعلام نظام مفتوح دائم التفاعل مع البيئة

-المدخلات/ المخرجات: الوقائع والاحداث وأشكال معالجتها .

-التغذية الراجعة: التفاعل ردود الافعال المبيعات...تخلق حالة ديناميكية

الهدف: لكل نسق هدف يسعى لتحقيقه...

الانفتاح والانغلاق: كلما كان النسق مفتوح كلما سمح بتدفق المعلومات وخلق ديناميكية اكبر

2-2-مدرسة بالو ألتو والتأصيل النظري للنسق الاتصالي :

تعتبر "بالو ألتو" مدرسة في فلسفة التعبير ، يقوم مبدأها التأسيسي على **الكل اتصال** ، أي لا يمكن ألا نتصل . فالصمت هو إتصال . وترى أن الاتصال هو بمثابة الحاوي أو الوعاء العام لكل النشاطات.

فكل نشاط علمي عادي ، قد يقع داخل غلاف ما يسمى بالاتصال . حيث أن العلوم والفنون والممارسات اليومية ، ليست سوى قطاعات محتواة داخل الحاوي أو الفضاء الاتصالي.

وبالتالي بهذا المعنى يصبح الاتصال هو المسيطر ، لأنه يشمل كل النشاطات واللغات ، والسلوكات بما فيها السلوك العلمي. أسسها برتالمنفي ، ومن أبرز روادها الأنثربولوجي البريطاني بترسون غريغوري .

2-3-تطور المقاربة النسقية في الاتصال :

تطورت المقاربة النسقية ، لتشكل ملتقى تحاقل مجموعة من التخصصات وتكامل مجموعة من العلوم وتندمج لتشكل معرفة علمية كلية متكاملة ، ولقد دمجت عبر أجيالها الثلاث كل من البنيوية ، والوظيفية التي أصبحت تسمى البنيوية الوظيفية لاحقا ، والسيبرنطيقا (التحكم الآلي) والنظام العام. ويرى بعض الباحثين أن الجيل الثالث من التفكير النسقي متعدد الاقطاب ، بدأ يهتم بالأنساق الاجتماعية منذ

1970. (6) بهدف دراسة النظم الإجتماعية وفهم تعقيدات الواقع. باعتبار النسق بمثابة خارطة ذهنية منسقة لمحاولة فهم الواقع. خاصة وان الانساق الاجتماعية هي انساق متعددة الاقطاب ، أي أن لديها العديد من مراكز صناعة القرار ، لكل منها أهدافها الخاصة ورهاناتها ووسائل عملها. فهي لا تقتصر على تبادل المعلومات والادوات ، بل تتبادل أيضا ما هو أهم ألا وهو المعنى(7) (المعاني التي تعطى للأحداث) .

والنماذج الاتصالية النسقية ، هي نماذج اتصالية لاخطية، أحدثت مراجعات للنماذج الوضعية القائمة على الميكانيكا السببية والقابلية للتنبؤ. تنظر للعملية الاتصالية وتفهمها كنسق كلي شامل لمجموعة من العناصر متكاملة بنائيا ووظيفيا بمعنى النسق ينتظم حول مظهرين بنائي ووظيفي. أو كنسق جزئي ضمن النسق الكلي الممتد للبيئة الاتصالية والسوسيوثقافية. تؤثر فيها وتتأثر بها وتتكامل الأدوار والوظائف ضمن تركيبة عناصر النسق الواحد أو مع مجموعة من الانساق. وكل اختلال في عنصر من عناصر الاتصال أو أحد عناصر العملية الاتصالية ، ينتج عنه اختلال في النسق .

وميز هول و فاجن بين فرعين من الأنساق ، الأنساق المفتوحة وهي التي تسمح بنقل وتبادل الأفكار والمعلومات والأشياء ، والأنساق المغلقة لا تسمح لا بإرسال ولا استقبال تدفقات الأفكار والمعلومات والأشياء .

ولقد تم بناء المقاربة النسقية على مدى الستين سنة الماضية ، من خلال الاستفادة من دراسات متعددة حول النظم في التخصصات الأخرى، مساهمة بذلك في ظهور علوم جديدة قائمة على الابستمولوجيا البنائية والوظيفية كعلوم الاعلام والاتصال. (8)

ولقد أشار **تالكوت بارسونز** إلى قصور التحليل الوظيفي في التعامل مع المجتمعات الحديثة المعقدة ، الامر الذي حذا به لتطوير مقولات الوظيفية ، حيث يقول : "لقد اخذت تسمية الوظيفية-البنائية تبدو في نظري غير ملائمة على نحو متزايد مع الايام. ويقترح بديلا متمثلا في التحليل التنسقي . أي النظر إلى الظواهر والاشياء ليس من خلال بنيتها أو وظيفتها بل من خلال اتساقها ، أي النظر إليها كأنساق. (9) .

6-المدرسة التأويلية في علوم الإعلام والاتصال:

تمهيد :

التأويل سيرورة عقلية ونفسية ، يمارس من خلالها المتلقي أو المستقبل للنصوص أو الخطابات ، أو الرسائل والمحتويات الإعلامية والإتصالية ، سواء كانت صورا أو معلومات أو أفكار أو رموز ... عملية الفهم وإعطاء المعاني والأبعاد والدلالات للمحتويات والرسائل التي تم تلقيها. وبالتالي يرتبط التأويل ارتباطا وثيقا بالتلقي أو الاستقبال ، سواء عبر القراءة أو الاستماع أو المشاهدة أو التأمل أو التخيل.

1-نشأة المدرسة التأويلية و أبرزروادها :

1-1-مفهوم التأويل :

نشأ التأويل كممارسة علمية ، قبل أن يتأسس كبراديغم قائم بذاته ، في خضم الفكر النقدي للفسلفة المثالية الألمانية . وتعددت المعاني والدلالات التي صاغها العقل العلمي للتأويلية .

فهناك من يعتبرها نظرية في الفهم ، وهناك من يعتبرها فن الفهم (محمد شوقي الزين) ، وهناك من يعتبرها فهم الفهم أو معرفة المعرّف .

وتشير بعض المراجع إلى أن لفظ التأويل يرجع للعصر اليوناني ، وأن أرسطو هو أول من ألف كتاب في التأويل .والذي خصصه للبحث عن الآليات التي من خلالها ، يتحول العالم إلى رموز . وفيه صاغ أرسطو قاعدته التاويلية : أن نقول شيئا ما عن شيئ ما معناه أننا نقول شيئا آخر ، أي أننا نؤول .(بن علي لونيس، ص105) .

والتأويل يعني التدبر والتأمل والتفسير ، أي نتدبر ونتأمل في معاني ودلالات اللفظ أو العبارة أو الصورة أو النص ثم نحاول فهمه وتفسيره ، كما نفعل الآن مع لفظ التأويل.

واستخدمت المعاجم العربية والكثير من المراجع ، التأويل بمعنى التفسير ، كتأويل الأحلام أو تفسير الأحلام . أو تأويل التاريخ أو القصص والكثير من الأساطير التي ترسخت في الثقافة العربية ، سواء في المخيال الفردي أو الجماعي.

وهو أي التأويل شكل من أشكال الاسترجاع والاستحضار التجريدي ، لأفكار أو أشياء أو صور أو ملامح أو مشاهد وإعادة قراءتها وتفسيرها وفهمها ، وإعطاء لها معاني ودلالات متساوقة مع اللحظة الانقرائية أو اللحظة التأويلية.

ولقد ورد لفظ التأويل في الكثير من المواقع في القرآن الكريم ، وتباينت الجهود الفكرية الفقهية في تحديد معاني ودلالات التأويل .

كما جاء في محكم تنزيله في سورة يوسف : "ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل جعلها ربي حقا الآية 100) وقوله تعالى "ويجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث" . وقوله في نفس الصورة "وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين" . وجاء في صورة الأعراف : "هل ينظرون تأويله يوم يأتي تأويله" (الأعراف الآية 53)

وهنا التأويل يمكن أن يحيل إلى معنيين ، الأول الحقيقة التي لا يعلمها إلا الله ، فناك حقائق لا يعلمها إلا الله

ويمكن أن يحيل التأويل لمعنى آخر ، وهو التفسير والتعبير والبيان عن الشيئ ، كقوله "نبئنا بتأويله (يوسف 36)

بمعنى التأويل مقرون بالعلم والمعرفة وإدراك الفكرة أو الشيئ ، أو العلم بالمعلومة أو النص .

1-2-بين التأويلية والهيرومنطيقا :

تستخدم بعض البحوث العلمية مفاهيم ، التأويل والهيرومنطيقا والتفسير بنفس المعني ، لكن وبالمقابل أوردت بعض الجهود العلمية ، التمييز بين هذه المفاهيم المتداخلة في معناها والمتجاورة في مبناها ، خاصة الهيرومنطيقا والتأويل.

وذلك باعتبار أن الهيرومنطيقا تنطوي على مجموعة من المفاهيم الفرعية ، التي تشير إلى أصناف مختلفة من العمليات التاويلية الممارسة على النصوص ، كالفهم والتفسير والشرح والتأويل والترجمة والتطبيق ... وهذه الفعاليات الهيرومنطيقية نجدها أحيانا مختلفة ومتمايزة ومتماثلة وأحيانا متداخلة ومتكاملة .

تبرز في هذا الحقل العلمي جهود أبرز المفكرين عبر مختلف المراحل ، وفي مختلف التخصصات العلمية على غرار شلاير ماخر ، ياوس ، دلتاي ، بول ريكور ، هايدجر ، يوهان هانز غادامير كأبرز ممثلي الفينومينولوجيا التأويلية....إلخ.

فالهيرومنطيقا عند **شلاير ماخر** ، تعني وبشكل أساسي الفهم ، وليس التأويل ، باعتبار أن التأويل يبحث فقط عن المعنى الحرفي أو المجازي ، بينما يقتضي الأمر فهم النص أو خطاب الآخر في غيريته أي في تفرده. (بن دنيا ، ص2) .

يرى شلاير ماخر كأحد أبرز رواد التأويلية ، أن الهيرومنطيقا كعلم أو فن التأويل تعني ، إمتلاك كل الشروط الضرورية للفهم .

أما **دلتاي** فيرى أن التأويل ، هو طريقة في الفهم وجزء من عملية الفهم . ويميز بينهما وبين التفسير ، ويرى أن التفسير يقترن بنزعة المدرسة الوضعية ، وتتميز به العلوم التجريبية ، بينما يتساوق التأويل مع العلوم الإنسانية والاجتماعية ، بسبب الصعوبة في التوصل لنتائج دقيقة وحقائق علمية ثابتة . "فالعالم الطبيعي يفسر مادته أما علوم الفكر فهي بحاجة لفهم أو تأويل ، ولا يمكن لأي منهج من المنهجين أن يطبق على الحقل المقابل" (بن دنيا ، ص3)

ويذهب **بول ريكور** لإثبات تصور عكسي لتصور دلتاي ، من خلال التقليل من حدة الصراع والتناقض والتعارض بين التفسير والتأويل ، بطرح وبحث إمكانية التكامل المتبادل بينهما . مشيرا إلى التحول السياقي الذي طرأ على مفهوم التفسير والذي أصبح يقترن بشكل وثيق بالنماذج اللسانية الخالصة ، وحسبه فنحن نفسر النص أولا بدراسة علاقاته الداخلية وتحديد بنياته الخاصة ، ثم نقوم بتأويله بعد ذلك ، بأن نمنح لهذه العلاقات والبنيات دلالة معينة.

وهذا ما جعل ريكور يعتد بانجازات البنيوية، التي وفرت لنا الأسس المنهجية العلمية ، تحليل مكونات النص الداخلية أي لتفسيره . ويدعو في الوقت نفسه الى ضرورة تجاوز هذه المرحلة وعدم التوقف عندها . "علينا أن نعطي دلالة ما لهذه النتائج التفسيرية (علينا تأويلها) وإلا كانت عديمة الجدوى . وهكذا يجد التفسير تتمته في التأويل ويجد التاويل أساسه العلمي ومرتكزه الموضوعي في التفسير .

أما **هايدجر** ، فإنه ينظر للفهم باعتباره مكونا لكينونة الكائن وباعتباره كيفية أساسية لوجوده ولمقاربته للعالم ولذاته ، أما التأويل فيقتضي الإمساك بهذا الفهم وإخراجه إلى دائرة الوعي والإدراك .

2-المدرسة التأويلية وإسهاماتها في الدراسات الإعلامية والاتصالية من التلقي إلى التأويل:

أسلفنا القول أن التأويل يرتبط وجوديا وعمليا بالتلقي ، فالقراءة أو المشاهدة ، تسبق إعطاء المعاني والدلالات للنص أو الخطاب المقروء أو المشاهد أو المسموع . لكن الأسبقية في الاهتمام العلمي كانت للتلقي أو الاستقبال في علوم الاعلام والاتصال ، أو القراءة في الأدب ، أو التأمل والتخيل في الفلسفة.

تجدر الإشارة هنا ، إلى أن هذا الاهتمام بالمتلقي أو المستقبل ، جاء كرد فعل من أجل رد الإعتبار لمكانه المحوري في الفهم والتأويل . بعد الاهتمام المفرط بالوسيلة أو الوسيط ، وبعدها بالرسالة أو النص . بينما ظل ينظر للمستقبل أنه مجرد متلقي سلبي ، بحيث تم اقصاءه واستبعاده من عملية بناء المعاني ، وكان ينظر إليه أنه ما هو إلا مجرد وعاء تصب فيه الوسائط المختلفة ما تريد.

وتتعدد الجهود التي كرسها الباحثون للتلقي ، وطور بعضهم أطر نظرية فرعية في هذا الاتجاه ، فظهرت نظريات للتلقي في الآداب ونظرية للتلقي في الفلسفة ، ونظرية للتلقي في الفنون ، ونظرية للتلقي في علوم الإعلام والاتصال كما فعل ستيوارث هول... إلخ . بينما يفضل البعض التوافق على جهد موحد تحت مسمى نظرية التلقي .

ولقد وردت مجموعة من التعاريف للتلقي ، في مجال علوم الاعلام والاتصال ، باعتباره اللحظة التي تتكون فيها دلالات ومعاني نص معين من طرف الجمهور . أو سيرورة إنتاج المعاني من قبل المتلقي وتأويلها . (بن دنيا فاطمة ، إشكالية التلقي والتأويل في بحوث الإعلام المعاصر ، 2019 . ص2)

وتعتبر مدرسة برمنغهام للدراسات الثقافية ، من المدارس التي أرست دعائم الإبستمولوجيا التأويلية في حقل علوم الإعلام والإتصال. حيث ساهمت جهود ستيوارث هول ، في نظريته الترميز وفك الترميز ، إلى التأسيس لأشكال قرائية أو تأويلية متباينة ، حسب الخلفيات والمرجعيات التي ينطلق منها الفعل التأويلي.

وقدم طرحا ثوريا من خلال ، إبرازه للمستويات الثلاث للتلقي الممكنة :

-القراءة أو التلقي المهيمن

-القراءة أو الاتلقي المفاوض

-القراءة أو التلقي المعارض .

ليؤسس بهذا ستيوارث هول لتحول معرفي ثوري ، من التلقي السلبي إلى التلقي النشط والفهم الإبداعي

فالتأويل يحدث ضمن مجموعة من العوالم ، لكن عالم اللغة أهمها ، فالتأويل يحدث داخل عالم اللغة .

ويقوم هنا البراديغيم التأويلي على دراسة المعاني و الدلالات ، حيث أن الأفراد يعطون معنى للعالم عبر تصرفاتهم الاتصالية من سلوكات و رموز كلمات الخ. وهذه التأويلات تقع في الافعال الاجتماعية .

فالتنظيم هو ليس بناء موضوعي ، كما ترى الوظيفية . بل بناء لمجموعة من المعاني ، و الاتصال ليس رسائل عبر التبادل و الشبكات ، بل عنصر يبني التاريخ و الأساطير و الطقوس داخل التنظيمات.

إذن البراديغيم التأويلي رمزي و ليس حتمي كالوظيفي ، التفاعل الاجتماعي يولد المعاني و المعاني تشكل عالمنا، مثال ورقة هي ورقة الآن في حياتنا اليومية، الدور الذي تلعبه الورقة في عملية تفاعلنا أي التي نكتب عليها التي نرسم فيها. لكن سيتحول هذا المعنى في الأجيال القادمة إذا تحقق هدف صفر ورقة مستقبلا، بسبب نزعة الرقمنة المفرطة.

7-مدرسة تورنتو أو نظرية الوسيط :

سادت أفكار هذه المدرسة ، خاصة خلال الستينات والسبعينات ، بقيادة مارشال ماكلوهان ، هارولد إينيس ، كما يعتبر الفيلسوف والمفكر الفرنسي ريجيس دوبريه ، من أبرز الرواد لهذا التيار المعرفي ، وهذا ما ترجمه في كتابه الميديولوجيا.

تركز على تأثير الوسيط الاتصالي بدل الرسالة الاتصالية ، في التأثير على المجتمع والادراك البشري حيث جعل هذا التيار المعرفي ، أن الحضارات البشرية المتعاقبة ، تتأثر في حركيتها وسكونها بطبيعة الوسائط الإتصالية. بل كل حضارة تصطبغ بطبيعة الوسيط الإتصالي السائد.

وهذا ما جعل ريجيس دوبريه ، في كتابه الميديولوجيا ، يقسم الحضارات الإنسانية إلى :

حضارة اللوغوسفير ، أو عصر الكلام.

حضارة الغرافوسفير ، أو عصر الكتابة .

حضارة الفيديويوسفير ، أو عصر الصوت والصورة.

ويمكن إضافة اليوم العصر الرقمي . ففي منظور هذه المدرسة ، كما يقولا ماكلوهان الوسيلة هي الرسالة.

8-مدرسة برمنغهام للدراسات الثقافية وإسهاماتها في علوم الإعلام والإتصال :

تميز سياق ظهور هذا التيار المعرفي ، خلال ستسينات القرن الماضي ، خاصة بعد تأسيس معهد الدراسات الثقافية ببرمنغهام بريطانيا 1964. بتحويل الإهتمام نحو الدراسة العلمية لثقافات الهامش والثقافات الفرعية ، وبناء تصور جديد للثقافة ، ليس فقط باعتبارها منتجات عقلية وفنية راقية ؛ بل دراسة الثقافة كممارسة يومية لمختلف فئات المجتمع.

-الرواد المؤسسون: ريتشارد هوغارت ، ستيوارث هول ، ريموند وليامز ، ديفيد مورلي....إلخ.

-أهم الأفكار وإسهاماتها في علوم الإعلام والإتصال:

أنتج معهد برمنغهام للدراسات الثقافية ، تصورا جديدا وثوريا للثقافة ، واعتبار الثقافة ليس منتجا فنيا راق فقط ، بل تشكل الثقافة في منظور مدرسة برمنغهام ، مجالا للنضال والصراع والمقاومة . وتحويل الإهتمام المعرفي ، نحو الثقافات الفرعية والهامشية كمجال للدراسة وكإطار للتحليل والفهم العميق للتحولات الإجتماعية والثقافية.

-تحليل الخطابات الإعلامية والإتصالية ، لمختلف وسائل الإعلام والوسائط الإتصالية ، ودراستها دراسة نقدية تحليلية ، بتشخيص مكامن السلطة في هذه الخطابات ، وأشكال استخداماتها للهيمنة الثقافية.

-الإهتمام بالتلقي ، وتطوير نظرية الترميز وفك الترميز: وبالاتالي اللإقرار بأشكال متباينة من القراءة والفهم والتأويل ، كالتلقي أو القراءة المهيمنة ، الاتلقي أو القراءة المفاوضة ، أو التلقي أو القراءة المعارضة .

-تجاوز التراتبيات الكلاسيكية في النظر للثقافة ، كثقافة راقية وثقافية هابطة كما فعلت مدرسة فرنكفورت . وتحويل الإهتمام من دراسة الثقافة المهيمنة الطبقة العاملة ، لدراسة الثقافات الفرعية.

-تحويل الإهتمام لدراسة قضايا إشكالية مهملة سابقا ، كقضايا الهوية والعرق والجندر والهجرة... فبرزت تيارات معرفية نسوية ، وتيارات ما بعد الكولونيالية ، وثقافات المهاجرين وتمثلاتهم في وسائل الإتصال.

9-المدرسة الأمريكية الإمبريالية الإعلامية الثقافية:

-سياق الظهور: انهيار القطبية الثنائية ، والتحول القوي لتبني النظام الرأسمالي ، وبدايات تشكل الإمبراطوريات الإعلامية والشركات المتعددة الجنسيات، كلها عوامل أنتجت آليات جديدة للسيطرة ، انتقلت من القوة الإقتصادية والإكراه العسكري ، إلى القوة المركبة والإكراه الناعم عبر سلطة الإتصال.

من أبرز الرواد المؤسسون: هربرت شيللر ، نعوم تشومسكي ...

تركزت أهم أفكارها ، حول السيطرة عبر وسائل الإعلام والإتصال ، وفقا لمبدأ من يمتلك الإتصال يسيطر ، من يمتلك المعلومة يمتلك السلطة.

تبرز إسهاماتها في علوم الإعلام والإتصال، في الكشف عن الإختلال في التدفق الإتصالي بين الشمال المهيمن والجنوب الخاضع. وفي الكشف عن أشكال التلاعب بالعقول وتجريف الأخلاق ، وتحريف الوعي الفردي والجماعي ، وتسلط الدعاية السياسية والإقتصادية في تصنيع وتوجيه الرأي العام ، كمؤشر على توحش الرأسمالية.

خلاصة :

المدارس الكبرى ساهمت في وضع الأرضية العلمية ، للتأسيس المعرفي لعلوم الاعلام والاتصال تباينت إسهاماتها ومنطلقاتها الفلسفية ، في دراسة الظاهرة الاعلامية والاتصالية ، وتعددت منهجياتها في دراسة الظواهر والاعلامية والاتصالية ، مما أثرى حقل المعرفة العلمية الاعلامية والاتصالية.

المحاضرة5: رواد المعرفة العلمية في علوم الإعلام والاتصال قديما وحديثا

تمهيد :

يصعب استحضار في هذه المحاضرة ، جهود الرواد المؤسسون للمعرفة العلمية في علوم الإعلام والإتصال قديما وحديثا . لمجموعة من الإعتبارات الموضوعية ، سواء ما تعلق بالتعقيدات الكبيرة التي تطبع الظاهرة الإعلامية والإتصالية . أو تعدد هذه الجهود العلمية من حيث خلفياتها المعرفية ومنطلقاتها وأهدافها . أو من حيث تعدد السياقات الثقافية التي درست فيها الظاهرة الإعلامية والإتصالية. وأخيرا بالنظر للطبيعة الديناميكية للظاهرة الإعلامية والإتصالية ، وتسارعها التكنواتصالي.

لكن سنحاول إبراز جهود كبار المنظرين والرواد المؤسسون ، وربطها بالسياق العام لإنتاج أفكارهم ، باعتبار السياق هو الذي يضفي المعنى ويبني الحقيقة في كل حقبة ، لفهم طبيعة التحولات الإبستمولوجية التي طرأت على الأنساق الفكرية السابقة ، والتجديد في الأنساق المعرفية اللاحقة.

أولا: إتجاهات التحقيب لظهوروتطورالمعرفة الإعلامية والإتصالية:

تباينت البحوث والدراسات الإعلامية والاتصالية ، في تحقيبها لظهور وتطور المعرفة العلمية في علوم الإعلام والإتصال . وتبرز ثلاث اتجاهات رئيسية :

الإتجاه الأول : فهناك اتجاه يربطها بظهور وتطور وسائل الاعلام المختلفة ، فكلما ظهرت وسيلة اعلامية فرضت على الباحثين فهم تلك الوسيلة والتأثيرات التي تحدثها على الأفراد والجماعات والمجتمعات .

الإتجاه الثاني : يربط ظهور وتطور المعرفة العلمية في علوم الاعلام والاتصال ، بالطبيعة التعددية للأفراد والجماعات ، من حيث خلفياتهم الثقافية وتنشئتهم الاجتماعية وفروقاتهم الفردية نفسيا واجتماعيا وتربويا ومعرفيا. فتعدد وتنوع الأفراد دفع البحث العلمي لمحاولة فهم أشكال التلقي وعوامل التباين المختلفة .

الإتجاه الثالث: بينما هناك اتجاه ثالث يربط ظهور المعرفة العلمية وتطورها بالظاهرة الاعلامية والاتصالية ككل ، أي كظاهرة معقدة بجميع عناصرها .

ظهور المعرفة العلمية ببداية الدراسات العليا والمساقات البحثية المستقلة عن العلوم الأخرى ، وبالتالي توليد المعرفة العلمية في حقل علوم الإعلام والإتصال . وهناك من يقرن هذا الفرع الجديد من فروع المعرفة العلمية بترعرعه وميلاده داخل الفروع المعرفية الأخرى كالسوسيولوجيا ، والأنثربولوجيا ، والفلسفة.

لكن الدراسات العلمية التأصيلية لعلوم الإعلام والاتصال ، تربطه بظهور وتطور وسائل الإعلام المختلفة تباعا ، والآثار النفسية والإجتماعية والسياسية والثقافية والإقتصادية التي تخلفها ، وتباين تلك التأثيرات بتباين البيئات الإعلامية والسياقات الثقافية والزمانية والمكانية .

تشير بعض البحوث ولدراسات إلى أن بوادر ظهور المعرفة العلمية في علوم الإعلام والاتصال ، ترجع لفترة ما بين الحربين العالميتين ، الأولى والثانية أي إنطلاقا من 1910 وصولا إلى 1945 وهي مرحلة مهمة تشكلت فيه أولى بذور المعرفة في علوم الإعلام والاتصال ، قبل أن يشهد هذا الحقل العلمي تطورات هامة.

ثانيا-مراحل تطور المعرفة العلمية في علوم الإعلام والإتصال ورواداها قديما وحديثا:

ومن بين الدراسات المهمة التي حاولت ، إبراز مراحل تطور المعرفة العلمية في علوم الإعلام والاتصال وحملت إشارة ، لأبرز روادها ، دراسة الأكاديمي سعد إبراهيم ، كما يلي :

المرحلة الأولى : 1910-1940 : سادت خلال هذه المرحلة ، الأبحاث والدراسات التي تسترشد بنموذج التأثير القوي والمباشر لوسائل الإعلام . ويستمد هذا الطرح مشروعيته العلمية من التأثير القوي للإعلام في نشر دعايات الحرب . وشكلت النظريات الإجتماعية والنفسية أرضية مرجعية للمعرفة الإعلامية والاتصالية خلال هذه المرحلة. وبرز خلال هذه المرحلة ، جهود رواد مدرسة فرنكفورت ، سيما تيودور أدرنو ، ماكس هوركايمر ، وجهودهما النقدية ، في مساءلة وسائل الإعلام ومخرجاتها ، بوصفها بالثقافة الجماهيرية ، التي تحولت لسلعة تخضع للعرض والطلب ، وما رافقها من تسطيح وتغييب لروحها النقدية

كما يمكن استحضار فيما بعد جهود ، هارولد لاسويل ، الذي أسس بنموذجه لأولى لبنات دراسات التأثير القوي في علوم الإعلام والإتصال. ومنها انبثقت ، نظرية الحقنة تحت الجلد ، أو الرصاصة السحرية.

حيث تزايد التخوف والقلق من قوة وسائل الإعلام أو ما يسميه العياضي الذعر الإعلامي . حيث حلت وسائل الإعلام محل العنف والقهر في إخضاع الجماهير.

لكن لا يمكن إغفال جهود مدرسة التفاعلات الرمزية ، رغم إطارها المرجعي في علم النفس وعلم الإجتماع خاصة الرواد المؤسسون في عشرينات وثلاثينات القرن الماضي . على غرار جورج هربرت ميد ، هربرت بلومر إضافة إلى تشارلز كولي. وفيما بعد إرفينغ غوفمان.

المرحلة الثانية: 1940-1965 : برز فيها نموذج التأثير المحدود وغير المباشر لوسائل الإعلام ، حيث تمت مراجعة الأفكار السابقة المتمحورة حول التأثير القوي لوسائل الإعلام . وساهمت الجهود التنظيرية في علم النفس الاجتماعي ، وعلم السياسية ، وعلم الإجتماع والأنثربولوجيا في بناء تصورات علمية جديدة أوضحت فيها أن هناك عوامل أخرى تؤثر على الأفراد وبشكل أقوى من وسائل الإعلام ، مثل الأسرة ، الجماعات المرجعية والأولية ، الأحزاب ، وقادة الرأي ...إلخ.

وتأتي في هذا الإطار إسهامات ، كبار الرواد المؤسسين ، مثل إليو كاتز ، كورت ليوين ، جوزيف كلابر ، بول لازرسفيلد ، ليرنر ، والبير شرام ، أفريت روجرز ، بول لازارسفيلد ، برنارد بيرلسون .... إلخ . وهنا تزايد الاهتمام بدراسة دور الإعلام في التنمية ، والتغيير الإجتماعي في إطار الترويج لنموذج التحديث الرأسمالي.

المرحلة الثالثة : 1965-1975 : تزامنت مع ظهور حركات التحرر السياسي ، المتمثلة في استقلال الدول وما رافقها من منظومة الحقوق الجديدة ، سيما حركات التحرر الاجتماعي والاقتصادي ، كحركات تحرر المرأة أو النسوية ، حيث عاد ظهور أو تم بعث سلطة الإعلام في مرافقة هذه التحولات. وبالتالي تجدد الحديث عن قوة وسائل الإعلام ، سيما مع احتكار الولايات المتحدة للنظام الإعلامي العالمي بعد انهيار القطبية الثنائية . وإجهاض الو .م.أ وبريطانيا قيام نظام إعلامي دولي جديد يساهم في كسر الاحتكار الإعلام ويحقق التوزن في التدفق المعلومات وامتلاك وسائل الإعلام.

ستبرز جهود هربرت شيللر ، نعوم تشومسكي ، في هذه المرحلة

المرحلة الرابعة : 1976-1992 : برز خلال منتصف السبعينات والثمانينات ، ما يمكن تسميته بمرحلة التحول الثقافي والمنعطف النقدي . انطلاقا من نموذج التأثير المحدود الهادئ والمستمر لوسائل الإعلام لتعكس الاعتدال في تفسير تأثير وسائل الإعلام ، حيث ركزت البحوث على دراسات القائم بالاتصال وأساليب العمل داخل المؤسسات الإعلامية وقاعات التحرير ، وتحول الاهتمام من التأثيرات المباشرة وقصيرة الأجل الى التأثير غير المباشر وطويلة الأجل.

وشهد تحول مركز إهتمام العدسة المعرفية ، من التأثير إلى التلقي وبناء المعنى والهوية والتفاوض الثقافي .

خلال هذه المرحلة وفي هذا السياق ، برزت جهود ستيوارث هول ، نظرية الترميز وفك الترميز . جهود ماكومبس ماكسويل ، ودونالد شو ، في نظرية وضع الأجندة ، جهود إرفينغ غوفمان ونظرية الأطر الإعلامية ، وجهود إليزابيث نيومان في نظرية دوامة الصمت ، وحراس البوابة ...والفجوة المعرفية ، جهود إفريت روجرز ونظرية إنتشار المبتكرات ، وجهود جورج جربنر في نظرية الغرس الثقافي.... إلخ.

وجاءت نتائج البحوث والدراسات ، في هذه المرحلة لتدعم نظام الهيمنة الثقافية للاعلام الأمريكي وتصاعد الدور المركزي لوسائل الإعلام الأمريكية ، في السيطرة على النظام الاقتصادي العالمي والسيطرة على السياسات الدولية.

المرحلة الخامسة : 1992-2017 : يمكن القول أن هذه المرحلة تمتد من نهايات القرن الماضي ليومنا هذا وهي مرحلة العولمة والتحولات الاتصالية الثورية وصولا لعصر الرقمنة. تزامنت هذه المرحلة مع بواكير العولمة ، واكبت هذه المرحلة عصر الاعلام المعلوماتي ، وإرهاصات ماسمي أنذاك مجتمعات المعلومات ومجتمعات المعرفة ، تزامنا مع ظهور وتطور الأنترنت . حيث ستظهر ثنائيات التحرر والاحتكار والإندماج الإعلامي ، والإمبراطوريات الإعلامية والشركات المتعددة الجنسيات ... حيث تزايد الاهتمام ببحوث

الصحافة والإعلام الإلكتروني وشبكات التواصل الاجتماعي ، والدراسات في البيئة الرقمية ، والتسوق والإدارة الرقمية ، والمجتمعات الافتراضية وبنوك الامعلومات ، والبيانات الضخمة...

وفي السياق العربي تزامن مع دراسات تاثير شبكات التواصل الاجتماعي في احداث الثورات العربية وما يسمى بثورات الربيع العربي ، التي انطلقت من منصات التواصل الاجتماعي...وبالتالي لجوء الدول العربية لخيارات سن قوانين لمراقبة المحتويات خاصة ذات الطابع السياسي.

يتجلى في وقتنا الراهن الطفرة الإتصالية كقيمة مركزية بسطوة تقنية. حيث سيبرز المستخدم كبديل للجمهور والمتلقي ، وتبرز المنصات الرقمية الهجينة والمتعددة الوسائط الإتصالية. وستفرض أطر معرفية جديدة لدراسة وفهم الإعلام والإتصال في السياق الرقمي.

وستبرز جهود تنظيرية جديدة ، على غرار جهود مانويل كاستلز في نظريته المجتمع الشبكي. ونظريات الفضاء السيبراني ، المواطنة الرقمية ، الذكاء الاصطناعي ، سطوة الخوارزميات...إلخ.

سادسا : مرحلة التحول الرقمي :

وتشير بعض البحوث والدراسات ، لهذه المرحلة ، باعتبارها تمثل الجيل الثالث من أجيال المعرفة العلمية والإتصالية ، ببروز النظريات النقدية والثقافية والرقمية.وتبرز في هذا السياق جهود مانويل كاستلز في نظريته المجتمع الشبكي . إضافة إلى جهود هنري جنكيز ، ونظريته ثقافة المشاركة ، ونظرية الاندماج الاتصالي... إلخ.

وتجدر الإشارة أيضا إلى جهود ، دانا بويد ، في دراسة ثقافات الشباب الرقمية في ظل الشبكات التواصلية ، وحاولت الإجابة على الكثير من الهواجس المعرفية التي تطرحها الفضاءات الرقمية ، كدراسات الحياة الاجتماعية للشباب في العصر الرقمي ، وكيف ينشئ الشباب أماكن خاصة في فضاءات عامة؟ حيث ساهمت جهودها في ، تطوير الاثنوغرافيا الرقمية ، بناء الهوية الرقمية ، التنمر الالكتروني

كما تعتبر الأكاديمية الهولندية ، خوسيه فان دايك ، من أبرز الباحثات في علوم الإعلام والاتصال المواكبات للظواهر الإتصالية في السياق الرقمي ، كتحليل ثقافة الاتصال الرقمي، كجهودها حول الذات في العصر الرقمي ، وكذا الذاكرة الوسيطية في العصر الرقمي. إضافة إلى جهودها حول نظرية مجتمع المنصة . و قدمت تحليل بمقاربة اقتصادية للبيانات الضخمة كسلعة.

خلاصة :

شهد حقل علوم الإعلام والإتصال تحولات ثورية ، من حيث النظريات المؤطرة ، أو الرواد المنتجون للأنساق المعرفية . حيث إنتقلت فيها الابستمولوجيا من طابعها التقليدي الذي يميزه جمهور سلبي

مستهلك، وسائل الاعلام منفصلة ، الرسالة خطية ، التأثير المباشر والقصدية ، التحليل الكمي للجمهور ، السلطة المركزية للاعلام، الرأي العام الإنفعالي والعاطفي...إلخ.

وصولا لمرحلة الابستمولوجيا الرقمية ، حيث التحول الثوري من الجمهور ، والجمهور النشط المشارك إلى المستخدمين المنتجين ، في سياق رقمي متسارع ، يتميز بالسطوة المنصاتية ، والهيمنة الخوارزمية ، وبروز الرواد الجدد في دراسة الشبكات الإجتماعية والمنصات الرقمية ، التدفقات غير الخطية والمحتوى التوليدي عبر تطبيقات الذكاء الإصطناعي ، والنظم المعقدة ، الاثنوغرافيا الرقمية وتحليل الشبكات السلطة الموزعة والبرمجة الخوارزمية.